



مستويات اللغة في رواية الزلزال للطاهر وطار *The levels of language in the novel of “The Earthquake” by Taher Wattar*

مريم منصوري*، المركز الجامعي بمغنية، الجزائر. البريد الإلكتروني: mansourimeryem461@gmail.com

تاريخ المقال

النشر: 2025-06-12

القبول: 2024-04-27

الإرسال: 2021-05-19

الكلمات المفتاحية

ملخص البحث

مستويات اللغة
رواية الزلزال
الطاهر وطار
الفصحى
العامية

إنّ الرواية الجزائرية هي فنّ ظهر ليُعبر عن واقع الحياة في الجزائر من كلّ النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع مستويات اللغة في رواية من الروايات التي كتبت في الجزائر بلغة عربية، وهي رواية الزلزال للطاهر وطار، باعتبارها تُعبر عن واقع الجزائر بعد الاستقلال، ووصف النظام الذي ساد فيها في تلك الفترة، وبذلك فهي رواية اجتماعية تاريخية. وقد أسفرت هذه الدراسة عن بعض النتائج أهمها: تعدّد وتنوع المستويات اللغوية التي كان لها دورها في التأثير في المتلقي، إذ وظّفها الروائي بكلّ دقة لتعبّر تعبيراً صادقاً ومقنعاً عن واقع الجزائر في فترة الاستقلال، وبذلك كانت العامية سمّة مميّزة في الرواية على قلّتها على لسان بعض الشخصيات من خلال الألفاظ والتعابير الاصطلاحية، فالمزاجية بين الفصحى والعامية، واتّخاذ الازدواجية اللغوية كوسيلة للسرد الروائي بحسب الشخصيات وطبقاتهم كان له دوره في التأثير على المتلقي/ القارئ، كما كان له دور في تماسك الخطاب السردية وتسلسل أحداث الرواية، وإعطائها مكانة مرموقة في الساحة العربية بعامّة والجزائرية على وجه الخصوص.

Abstract

The Algerian novel is an art that appeared to express the reality of life in Algeria in all social, political and economic aspects, and this study aims to trace the levels of language in one of the novels written in Algeria in an Arabic language, namely: “the novel of the earthquake by Tahar Wattar”, as it expresses the reality of Algeria after independence, and a description of the regime Which

Keywords

The levels of language
The novel of the
earthquake
Taher Wattar
Eloquent
Colloquial

* المؤلف المرسل

prevailed in it during that period, and thus it is a socio-historical novel.

This study yielded some results, the most important of which are: the multiplicity of linguistic levels, as the novelist employed it with all precision to express a sincere and convincing expression of the reality of Algeria during the period of independence, and thus colloquialism was a distinctive feature of the novel by some of its few. The characters through expressions and idiomatic expressions, the combination of classical and colloquial, and the adoption of linguistic duality as a means of narrative narration according to the characters and their classes had a role in influencing the recipient / reader, as it had a role in the coherence of the narrative Arabic narrative sequences. And Algerian in particular.

1. مقدمة:

تُعَدُّ الرواية من الأجناس الأدبية التي تقوم على الحكي القصصي في تصوير لوقائع وأحداث معينة في مجتمع من المجتمعات بكل طبقاته، فهي إذن: «سرد قصصي نثري يُصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال، والمشاهد» (فتحي، 1986م، ص176)، وهذا التصوير هو الذي يُحدّد نوعها وطبيعتها بحسب الشخصيات والأدوار التي تُسند إليهم في الأحداث ككل.

وأداة كل رواية مهما كان نوعها هي اللغة حيث يستعملها الكاتب للتعبير ولتصوير الأحداث وتجسيدها في أبهى حلّة، وكثيراً ما تأتي لغة الرواية في مستويات عدّة: فصحي وعامية، ولغة معيارية، وأعجمية...، وبذلك يمكننا القول بأنّ: «الرواية ككل، ظاهرة متعدّدة الأسلوب واللسان والصوت، ويعثر المحلّل فيها على مستويات لسانية مختلفة وخاضعة لقواعد لسانية متعدّدة» (باختين، 1987م، ص 32) بحسب الشخصيات المتضمنة في الرواية وبحسب طبقاتهم، فهي نوع من: «التنوع الاجتماعي للغات، وأحياناً للغات والأصوات الفردية، تنوعاً منتظماً أدبياً» (باختين، 1987م، ص 39)، هذا التنوع يُضفي عليها طابعها المميّز، حيث يعتمد الكاتب إليه من باب الإثارة وجلب انتباه القارئ، وجعله يعيش تلك اللحظات، فهو يُحاول خلق جوّ حركي داخل الرواية يُصوّر الأحداث ماثلة أمامنا.

وسنحاول في هذه الدراسة تتبع المستويات اللغوية في جنس الرواية، وما نقصده بالمستويات اللغوية هي تلك «الأطر القولية التي من خلالها صيغت المادة القصصية» (المالكي، 2010م، ص 73): بمعنى طبيعة الألفاظ والتعابير اللغوية التي استعملها الكاتب

واستعان بها لصياغة نصّه، وقد وقع اختيارنا على جنس الرواية باعتبارها: «الفن الأقرب للواقع، لهذا كان لا بدّ لها من، توظيف اللغة بشكل يُحقّق لها ذلك القرب من جهة، ويُؤثّر في القارئ/ المتلقي ويجذبه من جهة أخرى، فاستعان الكاتب بالازدواجية اللغوية» (القعود، 1997م، ص 19): لتحقيق هاتين الغايتين.

فالازدواجية اللغوية هي: «وجود مُستويين في اللغة العربية: مستوى الفصيحة، ومستوى الدارجة أو مقابلاتها مثل العامية واللهجة» (القعود، 1997م، ص 19)، وهي بذلك تجعل نص الرواية أقرب إلى نص المجتمع ثمّ إلى بنيته الداخلية، ولا يصل النص إلى ذلك إلّا بعد أن ينفّث على لغات المجتمع بكل طبقاته وفئاته (المالكي، 2010م، ص 75).

وانطلاقاً مما سبق وقع اختيارنا على رواية "الزّلال" للطاهر وطار، وهي رواية اجتماعية: «لأنّها تُقدّم شخصاً يُشبهون شخصيات الواقع المعيش في ظروف اجتماعية» (بوعزة، 2010م، ص 24)، من خلال تصويرها لواقع الجزائر في عهد الاستقلال، وهي رواية واقعية إذ «اتّجه وطار في روايته وجهة تسجيلية وقائعية، تعتنق التّاريخ، وتُعدّه مهمتها الأساسية، وكأنّ هذه الرواية هي نوع من التّدوين لحقبة تاريخية من استقلال الجزائر، وحتى لغتها كانت خالية من الجرجات الشعريّة» (بوفلاحة، 2015)، ولهذا جاءت لغتها بسيطة سهلة سلسلة تخلو من الإيحاءات والدلالات المضمرة التي تحتاج إلى التّأويل، مفهومة؛ لأنّها موجهة إلى كافة الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم.

2. التعريف برواية الزلزال:

في هذا العنصر سنقف على موضوع الرواية بشكل عام، ثم نُخصّص الحديث عن العنوان، باعتباره بنية لغويةً والعتبة الأولى لاستنطاق النص.

1.2. في فضاء رواية الزلزال للطاهر وطّار

حاول وطّار في روايته الزلزال أن يصف الآثار التي خلفتها حرب التحرير في مدينة قسنطينة وأن يبين من خلال هذا الوصف الملح العميق للحياة الاجتماعية بالحلّ الذي يرتئيه في إطار الإيديولوجية التي يؤمن بها وهي الإيديولوجية الاشتراكية (فريال، 2016م، ص204)، من منطلق أنّ هذه الرواية تتناول فترة ما بعد الثورة الجزائرية، وقضية الإصلاح الزراعي بالذات، وبطلها الشيخ "عبد المجيد بواالأرواح" الذي سيطر الإصلاح الزراعي على أراضيه الواسعة؛ لذلك يبدأ رحلة البحث عن أقرباء له في مدينة قسنطينة الذين قطع علاقته بهم منذ سنوات طويلة، ومراوحة الشيخ في وهم الماضي وقربه من الفرنسيين حجت عنه رؤية التطور والتغيير الذي حصل بعد انتصار الثورة، حتى أنّ أقرباءه قد تغيروا أيضًا، وأصبحوا جزءًا من الحياة الجديدة بحصولهم على مناصب مهمة فيها، وهكذا يخيب الشيخ في سعيه، وينتهي الحال به إلى فقدان عقله، وتحوّل رحلة البحث عنده إلى جنون في السّاحات والدروب، لقد كانت الأحداث أكبر منه وكان سيلها الجارف قادرًا على إغراقه وإغراق أمثاله (فريال، 2016م، ص339).

2.2. دلالة العنوان "الزلزال"

قبل الخوض في استنطاق الرواية من خلال إبراز المستويات اللغوية التي وظّفها الكاتب، نقفُ وقفَةً مُتأنيةً أمام العنوان؛ كونه العتبة الأولى التي نلجُ بها إلى عالم النص، وباعتباره أيضًا بنية لغوية تنتهي لمستوى من مستويات اللغة، مُحاولين ربط معانيه بأحداث الرواية، فزلزل في اللغة تحمل معنى الحركة

وقد تناول الدارسون "رواية الزلزال" من جوانب عدّة، تختلف نوعًا ما عمّا نسعى إليه في دراستنا، نُشير إلى بعضها في النقاط التالية:

*تناول الباحث "عبد الله محمد الخطيب" في جزئية من رسالته الموسومة: "النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطّار" إشارات إلى المستويات اللغوية في جملة من الروايات دون أن يتطرق إلى رواية الزلزال.

*كذلك تناولت الباحثة "إيمان فاطمة الزهراء" مسألة المستويات اللغوية في رواية الزلزال في مقالها الموسوم: "المستوى التركيبي في رواية الزلزال للطاهر وطّار" بصورة عامّة من خلال معالجتها اللغة التي استعملها "وطّار" في البنية السردية، وقد خلصت إلى أنّه وظّف لغةً سهلة ممتنعة، بسيطة الأسلوب، وغيرها من الإشارات في دراسات أخرى.

وعليه، فقد جاءت دراستنا لتفصّل في المستويات اللغوية في رواية الزلزال.

وبما أنّ الطاهر وطّار عاش فترة من الاحتلال وعاش الاستقلال، حاول التعبير عن ذلك في روايته مصورًا الوقائع الاجتماعية والسياسية والأيدولوجية وغيرها في المجتمع الجزائري، وكلّ ذلك نجده مبنوثًا في ثنايا روايته التي نحن بصدد دراستها وتحليل لغتها، وذلك كلّ سنقف عليه إجابة عن الإشكالية التالية:

• إلى أي مدى ساهمت ظاهرة الازدراجية

اللغوية في تحقيق أغراض رواية الزلزال

للطاهر وطّار؟

وللإجابة عن الإشكالية السابقة الذكر نُقسّم المقالة إلى مجموعة عناصر فرعية، نبدأ بعرض لمحة عن مضمون الرواية وشخصياتها؛ لننتقل إلى لبّ المقال لاستنطاق النص ومعرفة أهم مميزاته انطلاقًا من مستويات لغته، وبذلك نكون قد حققنا الغاية المرجوة من الدراسة، بتسجيل أهم النتائج في الأخير، كلّ ذلك استعانةً بالمنهج الوصفي المبني على التحليل.

والاضطراب، وقد جاء ذلك في لسان العرب: «الزَّلْزَلَةُ وَالزَّلْزَالُ: تَحْرِيكُ الشَّيْءِ، وَزُلْزَلَ الْقَوْمُ: مَعْنَاهُ صُرِفُوا عَنْ الاستقامة وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر، والزَّلْزَلَةُ فِي الْأَصْل: الحركة العظيمة والإزعاج الشديد؛ ومنه: زلزلة الأرض: كناية عن التخويف، أي: اجعل أمرهم مضطرباً متقلقلًا غير ثابت » (منظور، دت، 307/11، 308).

إنَّ إشارة الزلزال تُحيلُ على ظاهرة طبيعيّة أرضيّة انفجاريّة، والمُتن الروائيُّ يُحاولُ تعرية فئة برجوازية تتخذ من الأرض قاعدتها الأساسيّة لاستمرار بقائها وهيمنتها، فالزلزال من هذا المنظور فعل يكسر ويُفتت القاعدة الخلفيّة للإقطاع فهو يُمثّلُ الثورة الزراعيّة، وبذلك فهو يتخذ معناه الشُّموليَّ ويعلن بكلِّ بساطة سقوط زمام المبادرة من أيدي طبقة إلى طبقة أخرى؛ ففعل التأميم يقع على نفس الإقطاعيِّ موقع الزلزال الذي يُدمر الكيان ويُهدّد الوجود (بلقاسم، 2012، ص77).

فالظّاهر أنّ كلّ معاني الزلزال واضحة ماثلة في أحداث الرواية، إذ نجد معنى الحركة في الحالة التي يُصورها الكاتب في شخصية الشَّيخ " عبد المجيد بو الأرواح"، وهو يصف ضجيج مدينة قسنطينة وحركتها، واكتظاظها هذا في الجانب الظّاهري، وكذلك نجد هذه الحركة باطنيّة وهذا الاضطراب داخليًّا في نفسية هذا الشَّيخ الذي أصابه الدّهول عند عودته إلى بلده بعد سنوات طوال، «وشعوره بالضَّياع والمأساة، فهو لم يستطع أن يقتنع بقرار تأميم الأراضي الزراعيّة، فصار سائحًا على الحكومة التي اتَّخذت هذا القرار وعلى المستفيدين منه من عامّة الشعب والفقراء، فراح يلعنهم وظهر لهم حقه عليهم في فقرات كثيرة من الرواية » (فريال، 2016، ص 207)، من ذلك قوله: «يا نسل السَّوء، يا بُدور الشَّر، سلَّط الله

عليكم وباء الطّاعون، وزلزلت بكم قسنطينة، وابتلعكم وادي الرّمال» (وطّار، دت، ص159)، كذلك قوله: «لعن الله حكومة الكفار والملحدين، أعوذ بالله» (وطّار، دت، ص28).

والمعنى الثَّاني لكلمة " زلزال" وهي الانصراف عن الاستقامة، ووقع الخوف والحذر في القلوب، هذا أيضًا نجده ماثلاً في شخصيّة الشَّيخ " عبد المجيد بو الأرواح" الذي يصف واقع سكان مدينة قسنطينة، ويُشير إلى أنّهم انصرفوا عن ماضيهم، وتآقلموا مع حياتهم الجديدة كما يُسميها، وهذا الانحراف والتَّغير والتآقلم بالنسبة إليه هو انحراف عن الاستقامة، بالإضافة إلى الخوف الذي انتابه من عدم إيجاد أقربائه، وعدم توزيع الأرض عليهم، ومحاولة أخذ السُّلطات هذه الأرض منه تطبيقًا لمبدأ الاشتراكيّة، هذا ما جعله ينحرف عن الصّواب، ويفقد عقله، وبذلك فضّل الانتحار وإنهاء حياته في نهاية المطاف، وكأنّ الروائيُّ يُشير إلى قضية مهمّة وهي أنّ المستبد سيلقى حتفه لا محال.

وبعد الوقوف على معنى الرواية سنتتبع فيما يلي أهمّ المستويات اللُّغوية التي وظّفها الروائيُّ الجزائريُّ "الطّاهر وطّار" في روايته " الزلزال" مع ذكر بعض النماذج وتحليلها وذكر الغرض منها.

3. اللُّغة الفصحى في رواية الزلزال للطّاهر وطّار:

أولُ مُستوى نجده في الرواية هو المُستوى الفصيح، ولكن قبل الخوض في تتبع الفصحى في الرواية، نقف أولاً على مفهومها.

1. تعريف اللُّغة الفصحى:

جاء في القاموس المحيط: «الفَصْحُ والفصاحة: البيان، واللفظ الفصيح: ما يُدرك حُسْنُهُ بالسمع، وفصحُ الأعجميِّ: تكلم بالعربيّة، وفهم عنه، وفصحَ

الشيء: وَضَحَ، وَفَصَحَكَ الصُّبْحَ، بَانَ لَكَ، وَغَلَبَكَ ضَوْؤُهُ» (الفيروزآبادي، 2015، ص174).

ويُشير "عبد الصبور شاهين" إلى اللغة الفُصحى في معرض حديثه بقوله: «إِنَّ اللغة الفصحى هي الرِّباط الذي يوجد بين أوطان العروبة وترابطها بالقرآن مع سائر أوطان الإسلام في آن واحد» (شاهين، 1980، ص12).

فالفصاحة لها علاقة بالقرآن الكريم وحياة العرب، فهي أول لغة استخدمها العرب في حياتهم، وعُرفت بهم وعُرفوا بها، إنها اللغة التي نزل بها القرآن وسعت أحكامه وقواعده وقوانينه وعلومه، إنها لغة العقيدة والدين الإسلامي (توزان، 2009، ص263).

ومما سبق نفهم أن الفُصحى هي لغة القرآن الكريم ولغة العرب الواضحة الخالية من الغموض، فهي: «اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف القبائل في الجزيرة العربية، تلك اللغة التي سجّل بها الشعراء خواطرهم، ومظاهر الحياة من حولهم، كما استخدمها الخطباء في محافلهم وأسواقهم الأدبية» (الرديني، 2006، ص7).

وفيما يلي سنمثل لهذا المستوى من الرواية محلّ الدراسة.

3.2. مظاهر الفصحى في رواية الزلزال:

يُمكن أن نُمثل للمستوى الفصحى في رواية "الزلزال" للطاهر وطار بالنماذج التالية في معرض وصف الروائي حالة الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" بقوله: «انطلق بصره مع الجسر، واستعاد شيئاً من الاطمئنان رغم تداخل السيارات، والراجلين نساءً ورجالاً، في حركة فوضوية» (وطار، دت، ص5)، وكذلك في وصف حالته إذ يقول: «أسند ظهره إلى جدار المسجد، وراح يحتضن بطنه المنتفخة بذراعيه، وهو يُحاول انتعال الحذاء، والعرق يتصبب

من وجهه، وعيناه الكبيرتان البارزتان، تتسعان أكثر فأكثر، بينما شفتاه تتمتان بتلاوة دعاء، وعضلات وجهه، تتقلص، وترتخي» (وطار، دت، ص18). كذلك نجد اللغة الفصيحة البسيطة على لسان الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" وهو يصف الحياة الجديدة كما سماها، ويتذكّر الزمن القديم قائلاً: «لم يبق من الحياة السابقة إلا الآثار... هدموا عالمًا وأقاموا آخر. داسوا فوق عنق روح قسنطينة وراحوا يضغطون، وها هم يضغطون أكثر فوق صخرتها» (وطار، دت، ص48)، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، فقد استعان الكاتب باللغة الفصيحة البسيطة للتعبير وتصوير الأحداث.

فالملاحظ أن اللغة التي استعان بها الروائي، واعتمد عليها في تشخيص المواقف وتصوير الأحداث بكلّ دقة واحترافية، هي لغة فصيحة بسيطة كون الرواية موجهة لكافة الناس ولعامتها بكلّ مستوياتهم وطبقاتهم، وهي تسرد أحداثاً واقعية في بلادهم، وتكشف عن بعض الخبايا التي لا يستوعبها أيّا كان، فالشيخ "بوالأرواح" كان دائماً في معرض التساؤلات سواءً مع نفسه أم مع من يلتقي بهم من معارفه القديمة عن الواقع الذي رآه، عن حياة الناس كيف كانت وكيف أصبحت، وعن التّغير الذي يعتبره تغيّراً سلبياً، وهو ما زال يحنّ إلى الماضي وإلى حياة القديم، باعتباره كان من الطبقة البرجوازية فهو يرفض رفضاً قاطعاً النظام الجديد؛ نظام الاشتراكية وتأميم الأراضي الزراعيّة.

وعليه، فقد كانت الفصحى هي لغة الرواية إلا في بعض المواقف التي استدعت مستوى آخر من مستويات اللغة بحسب الشخصيات المتضمنة فيها، وهذا ما سنلاحظه عند تتبعنا للمستويات اللغوية الأخرى.

2.4. مظاهر العامية في الرواية:

وظف الروائي العامية في رواية الزلزال ، وكان ذلك مقصوداً ومخططاً له؛ لأن العامية هي اللغة البسيطة التي يتواصل بها أبناء الشعب الجزائري، فهي لغة تعكس الواقع كما هو، وتُعبّر صراحةً عن معاناة الشعب وحياته في فترة حرجة في الجزائر من فترات الاحتلال ثم الاستقلال، فهذا المستوى خاص بالحياة اليومية بين أفراد المجتمع الجزائري؛ إذ لكل مجتمع عاميته أو عامياته الخاصة به حسب متكلميها، وما نقصده في دراستنا هي العامية الجزائرية بتنوعاتها. وفيما يلي بعض النماذج من العامية في الرواية نقسمها قسمين هما: عبارات عامية وأمثلة شعبية.

• عبارات عامية:

ونمثل لها بالنماذج التالية:

* «تهد من أعماقه، وهو يسوي سترته، وينظر في بطة إلى ساعته» (وطّار، دت، ص4)؛ بمعنى يضبط سترته.

* «لا هذا (الدور) سقط مئى» (وطّار، دت، ص19)؛ ويقصد بها النقود.

* «عراقية بيضاء متسخة على رأسه» (وطّار، دت، ص25)، ويقصد بها القبعة من نوع خاص.

* «لا. هذا ليس تاجرًا حقيقياً. ليس تاجرًا المرة. أثر فيه الرّاع الذين يأكلون عنده. صار واحدًا منهم يا للمسوخ» (وطّار، دت، ص34)، وكأنّه ساخط على الحياة الجديدة بكلّ مظاهرها.

* «المسألة أعقد بعض الشيء، إنّها مرتبطة بكمية الأرض، عندي ما يزيد عن ثلاثة آلاف هكتار.. أهاه شيء ورثته، وشيء اشتريته أو تنازل عنه بعض الورثة» (وطّار، دت، ص 38)، وقد استعمل (أهاه) للتعبير عن الدهشة.

4. العامية في رواية الزلزال للطاهر وطار

قبل أن نتبع العامية في الرواية، نُشير إلى مفهومها أولاً.

1.4. تعريف العامية:

تُعرف العامية بأنّها: «لغة الحديث اليومي التي تُستخدم في الحديث اليومي والشؤون العادية وتضم مختلف لهجات المحادثة، وهي في الأصل غير خاضعة لقوانين تضبطها وتحكم عباراتها؛ لأنّها تلقائية مُتغيرة بتغير الأجيال وتغير الظواهر المحيطة بهم، وتتصلب نشأتها باللغة العربية، وتوجد لنفسها مكاناً بجانب اللغة الفصحى ظاهرة طبيعية في كلّ اللغات، وما أثبت ذلك قيام بعض الدارسين بإثبات وجودها في اللغات الأجنبية من بينهم (أنيس فريحة)، والدكتور (علي وافي) وغيرهم كثير» (توزان، 2009، ص 264، 265).

وعليه، فالعامية هي وسيلة التواصل في المجتمعات، إذ لا تنحصر في مجتمع دون سواه، فالعربية لها عاميتها كما للفرنسية وكذلك اللغات الأخرى، فالعامية إذن ظاهرة طبيعية تنتشر في كلّ لغات العالم، وهي لغة أنشأها العامة لحياتهم اليومية، ومن ذلك فهي لغة البيت ولغة الشارع والسوق والمجتمع، ومن الملاحظ أنّ عامية أية لغة ليست واحدة في كلّ جهات الوطن، وهذا الذي جاء على لسان العديد من العلماء بإدراج العامية كلغة للعامة، فهي بذلك لغة الأمي والمتعلم، لغة الفقير ولغة الغني، ومنه لغة كلّ الفئات الاجتماعية، وبما أنّها تحتوي تنوعات واختلافات لهجية مُرتبطة بالموقع الجغرافي، فهي تتنوع حسب الأقطار (توزان، 2009، ص265).

وعليه، فالعامية هي: «لغة البسطاء» (القاسمي، 1991، ص 129)، وهي متعددة ومتنوعة بتعدد المجتمعات، إذ نجد بين كلّ مجموعة لغوية لغةً بسيطةً للتواصل والتفاهم.

*«حقاً أنّ بعضهم يصنع الأحذية و البشامق

والنعال، بينما البعض الآخر متخصص في ترقيعها،

لكن الكثيرين منهم يقومون بالعملين في نفس

الوقت» (وطّار، دت، ص 39)؛ وكان يقصد بالبشامق:

النعال بصيغة الجمع، ونعل بصيغة المفرد، أي: حذاء منزلي.

*«آه، يا يمة الحنانة، تيتّم أطفالى» (وطّار،

دت، ص 44)؛ بمعنى الأم.

*«... لكن ما إن حلّ المساء حتى لفظت

المغبونة نفسها الأخيرة، وبقي السبعة يجرون خلفي

نانة يا نانة» (وطّار، دت، ص 45)، ويقصد بنانة بها المربية.

*«رفع رأسه وألقى نظرة على النهج القصير

أمامه: متجراً أكياس لا يزال على حاله، مخزن

الراديوهات الألمانية غير التجارة. الحلاق دخیل،

اللّبان كما كان، لعلّه لم يُغيّر شاشيته هذه» (وطّار، دت، ص 52)؛ بمعنى قبعته.

*«يشربون (الرّهج)» (وطّار، دت، ص 62)،

ويقصد به الخمر.

*«أنتشري يا خويا» (وطّار، دت، ص 67)،

ويقصد به الأخ.

*«بابا. هيا. تمسيحة أو تلمیعة لحذائك»

(وطّار، دت، ص 80).

*«تفضل يا يویا» (وطّار، دت، ص 116)؛ ويقصد

به الأب.

*«في المقابر يضعون الماء فوق القبر،

ويغرسون عند رأس الميت هذا النوار» (وطّار، دت،

ص 189)؛ ويقصد بالنوار الأزهار.

*«بينما ارتفعت ضجة في الزاوية الأخرى.

-خلط الحجر.

-حق ربي لا.

-اللّعب مكشوف، هذا خروج عن القوانين. «

(وطّار، دت، ص 205)، في معرض القسم بالله.

كما يُصرّح الرّوائى بذكر بعض اللّهجات مثل

لهجة الحدود الشّرقية على لسان متسولة في المدينة،

وذلك في محطة من محطات الرّواية أثناء العراك الّذى

داربين المتسولة والشّیخ "عبد المجید بوالأرواح" وهو

يُخاطبها بقوله: «اسحبي يدك يا امرأة. لا حول ولا قوّة

إلاّ بالله. المصيبة. المصائب، من أين خرجوا، لماذا لا

تعودون إلى قراكم ودواويركم» (وطّار، دت، ص 14)،

لتردّ عليه المتسولة بلهجة الحدود الشّرقية كما أشار

الرّوائى قائلةً: «تسقط على رأسك إن شاء الله.

المصيبة. أو تحملها على كتفك، حتى تستثقلنا»

(وطّار، دت، ص 14).

فهذه بعض النماذج من العامية تدلّ على

الحياة البسيطة بين الناس ولغتهم التي يتواصلون بها،

فهي سمة مميزة تطبعهم وتميّزهم عن الآخرين.

نجد كذلك مستوى آخر وظّفه الكاتب في

الرّواية ممثلاً في بعض التّعابير الاصطلاحية المستعملة

في الحياة اليومية والمتداولة بين أبناء فئة معينة من

المجتمع، والتي لها دلالات معينة خارجة عن دلالات

الألفاظ التي تكونها.

ويمكن أن نُمثل لذلك بالتعبير التّالي على لسان

أحد الشّخصيات في الرّواية من معارف الشّیخ "عبد

المجید بوالأرواح" وهو يتحاور معه قائلاً: «الدنيا

الغرارة الغدارة» (وطّار، دت، ص 27).

ونجد أيضاً التّعبير التّالي: «كلّ إناء بما فيه

يرشح» (وطّار، دت، ص 36)، تعبیر يوحي بأن كلّ أحد

مسؤول عن نفسه وعن أعماله وأقواله، وسيحاسب

عليها وعلى نواياه.

كذلك يقول البناء تعليقاً على أحدهم: «حنان الدجاجة بلا رضاعة» (وطّار، دت، ص 143)؛ ومعنى ذلك أنّه يدّعي حب ابن أخيه وفقط، ولو كان يُحبه فعلاً لبحث عنه منذ القديم ولتعاطف معه، ولما سلبه أرضه.

نجد تعبيراً آخر على لسان الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" في حديث دار بينه وبين ابن عمّه الذي التقى به بعد غياب طويل، حيثُ نجده يقول: «لكن يد المنون تحصد كلّ يوم» (وطّار، دت، ص 78)، بعدما طلب منه ابن عمّه مالاً أو نقوداً لشراء الحانوت الذي كان للبيع مع شريطة إرجاعه بعد سنة؛ وكان يقصد "بوالأرواح" (بيد المنون تحصد كلّ يوم) أنّ الموت لا تستأذن ولا تخبرنا، فكيف أضمن أنك ستعيد لي المال في كلّ الظروف.

وهذه التعابير كثيرة في الرواية، وكلّ تعبير له دلالة ومعناه بحسب السياق الذي قيل فيه كما شرحنا سابقاً، ويمكن أن نذكر تعابير أخرى فيما يلي: «يخلف على الشجرة ولا يخلف على صاحبها» (وطّار، دت، ص 87).

* «كانت إحدى شاحنات البلدية تحمل علب مصبرات فاسدة، صودرت من مختلف المتاجر، ما إن أفرغت الشاحنة حمولتها، حتى هجم عليها "هاجوج وماجوج"» (وطّار، دت، ص 88)، وهو تعبير عن كثرة الناس وتجمعهم.

* «مساء الخير والهنا والعافية، دمك غير غريب عني» (وطّار، دت، ص 221)، دلالة على أنّه يعرف الشخص.

* «قلت لك يا سيدي ابن سيدي، الدنيا أحوال. وكلّ ما في الجبين تراه العين» (وطّار، دت، ص 223).

وغيرها من النماذج التي لا يسعنا المقام لذكرها كلّها.

• أمثال شعبية:

استعان الرّوائيّ بتعابير أخرى في شكل أمثال شعبية على لسان شخصيات الرواية، كان لها دورها في تقريب مضمون الخطاب السّردي إلى الأذهان، من ذلك نذكر ما يلي:

* «عندما تطلقها لا تقترح عليها من تزوج» (وطّار، دت، ص 80)، بمعنى عندما تعطي الأرض لأقربائك لا تشتط عليهم شيئاً.

ونمثل أيضاً بالقول التالي على لسان "عمار البناء": «الشّر يعلم السّقاطة والعري يعلم الخياطة» (وطّار، دت، ص 69)؛ ويُقصد بها أنّ حالتهم التي أصبحوا عليها علمتهم أشياء لم يكونوا يعرفونها في زمن كان الاستقرار والأمن يسود بلادهم.

وقوله أيضاً: «سمننا في دقيقنا» (وطّار، دت، ص 80)؛ يقصد بها أنّ حياتنا واحدة ومصيرنا واحد، لذا لا فرق بيننا.

نجد أيضاً المثل الشعبي التالي: «اليد قصيرة والعين بصيرة» (وطّار، دت، ص 69)، إذ لها دلالة متعارف عليها بين جماعة لغويّة، وبما أنّ أحداث الرواية تدور حول مدينة قسنطينة وضواحيها، فهو تعبير إذن يخص هذه المناطق.

وأيضاً من الأمثال نجد: «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن» (وطّار، دت، ص 81).

وكذلك المثل: «ويوجد في النهر ما لا يوجد في البحر» (وطّار، دت، ص 81).

كثيراً ما يستعمل الشيخ "عبد المجيد بوالأرواح" الشخصية المركزية في الرواية المستوى الفصيح في وصف حالة المدينة وأجوائها، كما كان يستعملها أيضاً في الحوار مع نفسه، أمّا العاميّة فغاليتها

كانت على لسان الشخصيات الأخرى، وفي بعض
المواقف على لسان الشيخ، هذا إن دلّ فإنما يدلّ على
أنّ الشيخ كان من الفئة المثقفة الواعية؛ أي من
الطبقة البرجوازية، فقد جمع بين العلم والدين والمال
كما يقول.

وعليه، فقد حققت رواية الطّاهر وطّار غايتين
كونها رواية واقعية عبّرت عن الواقع، فغايتها الأولى
تأثيرها على القارئ/ المتلقي وجذب انتباهه وشده إليها،
والغاية الثانية وهي الاستعانة بازدواجيّة اللّغة من
خلال المزوجة بين الفصحى والعامية، ويظهر ذلك جلياً
في الشخصيّة المحوريّة في الرّواية: شخصيّة الشيخ "بو
الأرواح"، هذا كلّ جعل الرّواية تُصور الأحداث في
أحلى وأبهى صورة.

5. خاتمة

مما سبق يُمكننا أن نستخلص مجموعة من

النتائج أهمها:

* تطرح رواية الزلزال للطّاهر وطّار قضية استقلال
الجزائر، والنظام الذي كان سائداً فيها، وقد وظّف
الطّاهر وطّاهر لغة تعكس حالة الشعب الجزائري في
تلك الفترة، وتخدم ما طمح إليه من وراء تأليفه لها،
فكشف عن ذلك من خلال الشخصيات التي ضمنها في
الرّواية، والأدوار التي أسندها لكلّ شخصيّة، وطبيعة
اللّغة والتّعبير على ألسنتهم في كلّ محطات الرّواية.
* جمعت الرّواية بين مُستويات متعدّدة (عاميّة-
فصحى- تعابير خاصّة مُستعملة...) عمد إليها الرّوائي،
وكان لها دورها في التّأثير على القارئ من جهة، ولها
دورها في تسلسل أحداث الرّواية وترابطها وتصويرها
تصويراً تشخيصياً من جهة أخرى، وبذلك كانت
العاميّة سمةً مميّزةً في رواية الزلزال للطّاهر وطّاهر،
حيث وظّفها في بعض محطاتها، وهي قليلة مقارنة
بالفصحى، هذه القلّة كان لها دورها وتأثيرها.

* استعان الكاتب بازدواجيّة اللّغة من خلال

مُزاوجته بين الفصحى والعامية؛ ليُصور الأحداث
والحقائق بكلّ دقّة واحترافيّة، إذ بتعدّد المُستويات
اللّغويّة والاستعانة بالازدواجيّة اللّغويّة أو التّعدديّة
اللّغويّة، يجعل نصّ الرّواية أقرب إلى نصّ المُجتمع، ثُمَّ
إلى بنيته الدّاخلية، ولا يصل النص إلى ذلك إلّا بعد أن
ينفتح على لغات المُجتمع بكلّ طبقاته، وهذا ما حقّقه
"الطّاهر وطّار" في روايته "الزلزال" التي كان لها الحظ
الموفور في السّاحة العربيّة لما حملته من شحنات كان
لها وقعها في نفس وقلب القارئ/ المتلقي/ السّامع.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1. الرّديني، م. ع. (2006). *المعجمات العربيّة-
دراسة منهجيّة*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى
للطباعة والتّوزيع.
2. الفيروزآبادي، م. ا. (2015). *القاموس المحيط*.
القاهرة: دار ابن الجوزي للنشر والتّوزيع.
3. القاسمي، ع. (1991). *علم اللّغة وصناعة
المعجم*. الرياض: جامعة الملك سعود.
4. القعود، ع. (1997). *الازدواج اللّغوي في اللّغة
العربيّة*. الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد
الوطنية أثناء النشر.
5. المالكي، خ. (2010). *اللّغة الشّعريّة في روايات
أحلام مستغانمي*. جامعة مؤتة.
6. باختي، م. (1987). *الخطاب الرّوائي*. القاهرة: دار
الفكر للدراسات والنشر والتّوزيع.
7. بوعزة، م. (2010). *تحليل النصّ السّردي-
تقنيات ومفاهيم*. بيروت، لبنان: الدّار العربيّة
للعلوم ناشرون.

8. شاهين، ع. ا. (1980). *المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصّرف العربيّ*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
9. فتحي، إ. (1986). *معجم المصطلحات الأدبية*. تونس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر.
10. منظور، ج. ا. (دت). *لسان العرب*. بيروت: دار طادر.
11. وطّار، ا. (دت). *الزّلال*. دب: حقوق الطّبع محفوظة.

المجلات:

12. بلقاسم، ف. ا. (2012). *المستوى التركيبي في رواية الزّلال للطّاهر وطّار*. مجلة الأثر. 75- 89 ,
13. توزان، ل. م. (2009). *العامية والفصحى في الرواية الجزائرية- روايات الطّاهر وطّار نموذجًا*. *جسور المعرفة*. 261- 270 ,

الرسائل الجامعية:

14. فريال، ط. (2016- 2015). *نظام الشخصيات في روايات الطّاهر وطّار- البناء والدلالة*. جامعة جيلالي ليايس- سيدي بلعباس، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د) في الرواية المغاربة والنقد الحديث.

المواقع الإلكترونية:

15. بوفلاقة، م. س. (2015, 10 30). *روايات الطّاهر وطّار...الرؤية والبنية*. الرّابط: googlezeblight.com.